القبة ساعة دقّاقة يقف الرجل على عقربها فيبين للجالس في الحديقة بحجم الديك أو أصغر . وهناك بناية « الكاوي » ويا له من كاوٍ ! وما ذاك الزمان ببعيد يوم كانت أقرب البنايات إلى الشمس . لكنها اليوم قد طأطأت رأسها أمام علوّ كثيرات يُنين بعدها . وهناك بناية « الافنيو الخامس » وسواها ، ثم سواها ، ثم سواها من البنايات التي تتنفس اليوم بألف منخار والتي تطلب النسيم فلا تجده فتحتال للحصول عليه بمراوح كهربائية .

بين أوراق الأشجار أسراب من عصافير « الدوري » تسمع لها ثرثرة متقطعة . ليس في الأشجار غصن يميل ولا ورقة تتحرك . ولو أن حديقة « مديسن سكوير » حلفت في هذه الساعة أن ليس في الأرض ما يدعونه نسيماً لكان حلفها صادقاً أمام السماء والأرض .

الشمس في السماء . لكنّ مَن في الحديقة يشعرون بها ولا يرونها لأنّها مقنّعة بقناعٍ أغبر كثيف ، ليس ضباباً ، ولا سحاباً . إن هو إلاّ أنفاس التنين المتصاعدة من ألوف المداخن ، وملايين النوافذ ، وجبال متراكمة من الحديد والحجر والقير والاسفلت ، وقوافل لا يدرك أولها وآخرها من العجلات — العجلات المسيرة بالغازات والمسيرة بالبخار والمسيرة بالكهرباء . تتصاعد هذه الأنفاس في الهواء فينوء تحتها الهواء . ترفعها